كيف نجح حزبُ المؤتمر في جنوب آفريقيا في المزج بين السياسي والعسكري، في حين أخفق الفلسطينيون؟

للتحقّق؟ لماذا نَجَحَ حزبُ المؤتمر في جنوب إفريقيا نجاحًا كاملاً، في حين فشل الفلسطينيون فشلاً كاملاً، على الرغم من تشابُهِ الوضعيْن؟ كيف نجح ذلك الحزبُ في المزج، وفقًا للظروف، بين السياسي والعسكري، في حين أَخفق الفلسطينيون إخفاقًا محزنًا؟ ربما يَكْمن الاختلافُ الجوهريُّ بين الحاليْن في معنى «الحزب»: فهو يتحوّل لدى طرف إلى كلمةٍ فقيرةِ المضمون؛ ويستحيل لدى طرفٍ آخر إلى متخيّلٍ خصيبٍ يساوي بين الحزب وممارسةِ السياسة، وبين السياسة والحوار المنتَج بين المعنيين بلا مراتب ولا طبقات.

أيّاً يكن الأمرُ، فإنّ المطلوبَ، أولاً وأخيرًا، مراجعةٌ نقديةٌ للتاريخ السياسي الفلسطيني، الذي حارب عدوّاً غيرَ تقليدي بأدواتٍ تقليدية، وأدار «الحوارَ» مع عدوّه بأساليبَ فقيرةٍ، وزَرَع في تربةِ «سلطةٍ وليدةٍ» كلَّ الأمراض السلطوية المنتشرة. إنّ العلاقة بفلسطين لا تُخْتصر في الشهادة والتضحية ـ فلو كان الأمرُ كذلك لانتصر الفلسطينيون وإنْ بقَدْرٍ ما ـ وإنّما يتعيّن بممارسةٍ عقلانيةٍ ووعيٍ محسوبٍ، بعيدًا عن القدَرية والطمأنينة والمعادلات المجرَّدة.

ما زال الفلسطينيون، عقدًا بعد عقد، يَعْقدون العزمَ على تحرير فلسطين، دون أن يَعْقدوا العزمَ على مراجعةِ تاريخهم الكفاحي، الذي أَدْمن، ربما، الشهادةَ والخيبةَ... في انتظار زمنٍ نجيبٍ لا يَفْصل بين الكفاحِ الوطَني والسياسةِ العقلانية.

دمشق

في العدد القادم من الآداب

- **قصص: ناصر الرباط، محمد العلوي العماري،...**
- **الحركة الشيوعية العربية: رفعت السعيد، خليل كلفت.**
- **دراسات أدبية: سامي مهدي،...**